

## رحمة طائر<sup>(١)</sup>

- ٢ -

للمستأذنين فايبر الممروسي

### ٥- وحدة وتأمل

صاح في الجو كي يرى فيه إلهاً ضلّ في الليل نجوة الأصحاب  
فتردّى كما تردّى أسيراً وتخفّت له طريق الإياب  
لم يجاوبه غير رجيع صده رنّ فيما يروعه من هضاب  
وهنا ، قَطَعَ الرجاء يثوساً وسرى في مذلة واكتئاب  
إن في الكون - لو علمت - خفايا بات فيها مُشتّت الألباب  
غره أن يطير فيه طليقا كان بالروض أم بقفر الياب  
فتبدّت لعينه قوة الكون . وأمسى لعجزه في متاب  
بعد ما أنهك السرى من قواه وتناهى به صنوف العذاب

\*\*\*

(١) أنظر الجزء الأول من الملاحمة في العدد القانت ،

(٢) كتبت هذه الملاحمة في سبتمبر سنة ١٩٣٢ ،

أى شيء يرومه بعد هذا      أُرَجَّى فهو ضه وهو كاي؟  
 كيف يرجو النهوض والضعف باد      وعظام الجناح صرعى الضراب  
 أو يود الوصول ، والإلف ناء      وسيل الغريب جم الصعاب  
 وأمانى الظلام ، تعتصر القاء      ب حنيئا ، إلى الليالى العذاب  
 تثلج النفس لحظة ثم تمضى      بارقات كومضة من سراب  
 هكذا الطير ، كان أشقى فؤادا      لم يمتنع بمأمن ، أو ماب

## ٦ - أمل

وتبدى له الخلاء وحيدا      دائم الصمت مطرقا فى اضطراب  
 كل شيء بجوفه مستكين      خاشع الطرف فى سواد الإهاب  
 وتراى له شهاب الدياجى      مشعلا ناره بجوف الضياب  
 فاستشف المغيب فى هب النج      م ، وضوء السما ، وبرق الشهاب  
 أبرقت صفحة السماء وماجت      بضياء أنار وجه السحاب  
 بعثت فيه خفقة من زجاء      شجع الطير فى السرى والذهاب  
 فأنبرى فى سراه يصطك خفقا      فى حشاه ، وجوفه فى التهاب !

## ٧ - أليفته !

بين هذا الأنى ومر البعاد      عاود الطير ذكريات الفؤاد  
 ذكر الطير عيشة قد قضاها      بين نغمى النمنى وصفو الوداد  
 هو يأسى ، وإفقه فى غناء      تجرع الهم فوق شوك القتاد  
 تشد الإلف فى النهار وتسمى      ترقب الطيف فى هدوء الرقاد  
 كلما هبت الرياح أحست      فى حفيف الرياح قرب البعاد  
 أو تغنى على الغصون حمام      سمعت فى الغناء صوت المراد  
 لم يكن ذاك غيرها جس نفيس      قد سقاها الفراق كأس السهاد

## ٨ - في سماء الريف

ثم طاحت به يدُ النَّأْيِ حَتَّى طاف فوق الحُزُونِ وَالسَّهْلِ فِي الْأَرِ  
لا يرى مرشداً بها لِهَدَاهُ غير تلك القرى، وهذى النجوع  
ضمَّها الليلُ في ثَنَاءٍ دُجَاءٍ قَامَتُ كَأَنَّهَا قَطَعَ اللَّيْلَ  
وديبُ الفَنَاءِ يَسْتَرْقُ الْخَطَّ هَذِهِ قَرْيَةٌ حَوَتْ سَاكِنِيهَا  
خَضْنَتْهَا مَزَارِعٌ وَحَقُولٌ وَرَحِيقُ الْكُرومِ يَنْفَحُ فِيهَا  
وطلوعُ النخيلِ تَنْشُرُ فِي الْجَوِّ وَ أَرِيحَاءٌ كَتَفَحَ طِيبُ الْحَرَارِ  
وَكَأَنَّ الْهَدُوءَ حَوْلَ رُبَاهَا وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لِلتَّقَى الصَّابِرِ

## ٩ - حول القرية

بين هذا الهدوء والصمت يسرى صوتُ شاةٍ مِنَ الْقَطِيعِ رَضِيعٍ  
فَحَنَتْ أُمُّهَا عَلَيْهَا وَهَبَّتْ أَيْقَظَتْ أُخْتَهَا لِتَرَوِي صَدَاَهَا  
وُخُورَ الْعَجُولِ فِي الْحَيِّ يَسْرِي وَصَهِيلُ الْخِيُولِ يَسْرِي صَدَاهُ  
وَرُغَاءُ الْبَيْاقِ يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ ذَا ضَجِيجٍ الْقَرْيَ لَدَى اللَّيْلِ وَالْإِظَا  
غَيْرَ ضَوْءٍ مِنَ الْخِلَالِ سَقِيمِ

صوتُ شاةٍ مِنَ الْقَطِيعِ رَضِيعٍ  
من لَذِيذِ الْكُرَى وَصَمْتَ الْهَجُوعِ  
فِي بَكَاءٍ وَصَرْخَةٍ التَّرْجِيعِ  
إِذْ أَحْسَسْتُ لَدَى الْمَقَامِ بِجُوعِ  
فِي جُوبِ الرُّبُوعِ تَلَوَّ الرُّبُوعِ  
سُحُنًا يَدِبُ بَيْنَ الصَّلُوعِ  
لَا مُمْ فِيهَا مَخِيْمٌ فِي خَشُوعِ  
يُجْتَلِي مِنْ وَرَاءِ بَيْتٍ مَنِيعِ

أو سنا موقد تَرَآءَى بعيداً بين مَرَعَى الرعاة حول النجوع  
تصطلي حوله الجموعُ السَّهَارَى تحت قطر الندى بجوف الهزيع  
وهو قطرٌ تشع منه حياةُ حياة الأزهار صوبَ الربيع

### ١٠ - على الجدول

قطع الطيرُ هذه الأرضَ ليلاً ليس يدرى ذهابه من إِيَابِهِ  
ليس يدرى سوى التَّحِيرِ فيها والضَّنى والآسى، ومرَّ اغترابه  
وبعيداً عن القرى وقف الطَّام يرُ شريداً، مُستسلماً لعذابه  
فوق غصن من الغُصون تدلَّى في غدير . كَمُنْتَشٍ بشربه  
أسلمَ الفكرَ للهدوء وأخفى رأسه تحت ريشه وإهابه  
كَيْتِم طوى بجوف الليالي يستر البؤس تحت بالى ثيابه  
أو طريدٍ عدت عليه العوادي لم يُمَتِّع بِأَمَلٍ في شبابه

### ١١ - بين الحقول

هبط الطيرُ بين زرع نصير طَلَّهُ اللَّيْلُ بالندى المقرور  
حالمًا كالجفون أطبقها النَّوْمُ ، فطافت بحلبها المستور  
شاخصاتٍ لبعضها كضربٍ يتداني بوجهه لِضَرْبِ  
هامساتٍ بسرِّها في هدوء همسة الكشف عن خفايا الضمير  
عالمٌ كالصغار حساً وقلبا ليس تدرى الأذى وبغى الشرور  
لقى الطيرُ في حماها أماناً فترامى بجنبها في فتور  
يزهفُ السميعُ للخشاش على الأر ض ، يُوالى ديبه كالصير  
وصفيرُ النقيق تحت مياه نائماتٍ بجفوف كل غدير  
ترسلُ الشدى في الجداول ليلاً منشداً لحنه كلحن الخير  
حسب الطير ، أن رجَّع صباه هو لحن الردى وصمتُ القبور

## ١٢ - ديك على جدار

هَبْ ديك من نومه ، ووقف على جدار من دور القرية ، وصاح .... !

نخاطبه الطائر :

إبه ياديك ..! ما بنفسك حتى تهتك الليل بالصياح نحيبا ؟  
أدهاك الآسى ومر التناى عن ديار فبت عنها غريبا  
بت تشكو العيال والإلف ليلا وصباحا ، وضخوة وغروبا  
أم ضلت الهدى ؟ فصحت تُرجى ذلك العطف والحنان الرطبا  
دارك الحائط الذى أنت فيه قمت تشدو منعا وطروبا  
أمسك الصوت يارفيق الليالى لست مثلى على الوجود كئيبا

نخاطبه الديك

أيها الطير إن دارى فسيح رحبها ، فاقرب وأقبل اليّا  
أهبط الدار ، والتجىء لحماها ستران على الإخاء وفيا  
عندى الحب ، فالتهم منه واشرب من قراح المياه عذبا هنيا  
ذى عروش من الكروم بدارى مورقات ، ترف ظلا ورّيا  
كل شىء لديك حلّ مباح إن ترّمه ، تجذه سهلا رخيّا  
فلك الدوح والحقول . وأزها رُياض تفيض نفحا ذكيا  
طف بها ماشاء ، وابعث نواحا وحنينا ، وغنّ لحنا نديّا  
إننى أكرم الغريب بأرضى وأرانى له خليلا صفيا  
إنما تكرم النفوس نفوس مثلها عزة وحسّا أيبّا  
هبطت قوى الطائر ، وخفت أنفاسه ، فاستكان فى ناحية من الخلاء ، فإذا

الرياح الخافقة ، تحمل إليه خفقات الشاعر المتجول : نخاطبه الطائر :

من ثرى ذلك المغنى بليلى يبعث الشعر صارخا بالشكا  
أترى ضلّ فى المجاهيل مثلي واجتوّه ، فخار فى الظلمات

أم هو الشاعر الذى طاف فى الدّيل ، كنفح الزهور فى الجنات  
 أو كروح مهوّم هبط الأراض ليحس مواطن الشبهات  
 أنت يا شاعري ؟ إذن أنت طيفٌ ملهم الحسّ ، طاهر الخطرات  
 تستشف النفوس فيما تعاني وتحسّ القلوب فى الخفقات  
 هات يا شاعري حديثاً من القلأب . وأيقظ كوامن الذكريات  
 حدث النفس عن حياة أراها حياة الوحوش فى الفلوات  
 ليس فيها لذى الشعور نصيب غير مُمرّ الخطوب والنائبات  
 هكذا العيش ؟ إن يكن هو هذا فحرامٌ علىّ عيش الحياة  
 لها بقية ستشرّ تباعا

فايز العمروسي